



كلمة

أحفاد «هم» يصححون تاريخ لبنان «نا»

قال لي زميلي «ماذا أنت مصرّ على الكتابة عن القرنين السادس عشر والتاسع عشر، ماذا عن اليوم؟» لا أعتقد بأننا جاهزون ولكن لنرى...

أثارت رسالة ابن شعيب⁽¹⁾ حيناً لدي عدد من أحفاد «الأجانب» الذين لعبوا دوراً مهماً في تاريخ المنطقة، ومنها لبنان. وجاءت عباراتهم لتعكس وقائع سمعوها من أهلهم أو قرأوها في مستندات لا تزال في حوزتهم. لدى هؤلاء جميعاً «حب» ما لهذا البلد، ممزج بالمرارة. فهم يذكرون حكايات أهلهم عن «البلد الجميل المضيف» وعن مدى الاهتمام والحفاوة التي لقوها حين كانوا يصلون ويجولون فيه. أما المرارة فتأتي من سرعة التقاف هؤلاء «الزعماء المضيفين» على ضيوفهم، وبشراسة الذئاب الجائعة، حين يضعف هؤلاء المبعوثون. يستغرب الأحفاد جميعاً القدرة لدى الأُسُر التي «حكمت» لبنان على أن تبدو «متفتحة» و«عصرية»؛ ففي منازلهم لوحات وكتب، ونيذهم فاخر، وأحاديثهم ممتعة، لكن لديهم سرعة هائلة في التحول إلى وحوش مفترسة تأكل حتى أبنائها. وكان معاني الكرم والشهامة والوفاء غريبة عن هؤلاء الذين أبدوا كل هذه الصفات أيام كانوا يتجشون بصيوفهم الأجانب في عزّ نفوذهم. وكان التاريخ كذبة واسمهم في التاريخ لا يهم، فسوف يأتي من يقول إنهم عظماء. على هذا أجمع الأحفاد، رغم تعدد مشاربهم وأهوائهم، وهكذا كتبوا!

حفيد جمال باشا (1872 – 1922)

بروي حفيد جمال باشا ما يلي:
«لدي وثائق من جدي الأكبر تظهر أن من وصفهم كتب التاريخ بالإصلاحيين والثوار ضدّ العثمانيين كانوا أتباعاً لجدي، اقبلوا عليه حين ضعفت تركيا في وجه الحلفاء فتحولوا أتباعاً لفرنسا وإنكلترا، وحتى من أظهر وطنياً ما فهو يفعل ذلك نكابة بأخيه أو جاره. وقد قال جدي «وكانت في أخلاق العرب نقطة ضعف كبرى إذ لا يكاد أحدهم يصبح ذا حظوة أو يكون مقدماً على غيره حتى تستعل نار الغيرة في صدور الآخرين. فيعدون إلى أعمال التهيج ضده...». ثم راح يقول إن جده قال له حرفياً إن تحالف هؤلاء الزعماء مع فرنسا وإنكلترا ضدّ تركيا في الحرب العالمية الأولى (1914) ستكون له نتيجة واحدة هي خراب العرب وسقوطهم إلى الأبد، مضيفاً، «(...) إن الذين يدعون أنهم لا يعرفون شيئاً عن تلك المناورات إما أن يكونوا قصار النظر وإما أن يكونوا قد باعوا ضميرهم وشرفهم (...)». وأنها حفيد جمال باشا رسالته بقوله «إن الذين لقبوا جدي بالسفاحم ذاهم الذين كانوا يلحسون (...)».⁽²⁾

حفيد دميان دي مارتل (1878 – 1940)

يقول حفيد دي مارتل «عندي الكثير من الإثبات أن جدي لم يكن بالسوء الذي تصوّرون، وكان لديه حسّ الفكاهة وحبّ للنساء، لكنّه أغرم بسيدة واحدة وقف أمامها زعماً وكم صاغرون، فما ذنبه؟ أتم من أفسحتم المجال للفساد وحوّلتهم هذا الكونت العريق إلى مهرج. صحيح أنه استخدم لعبة المال في الانتخابات النيابية (1934)»، يكمل الحفيد، «لكن جدي أوضح موقفه حرفياً: «إنني أعمل عملاً إنسانياً فليس هناك من وسيلة لعبود عبد الرزاق وإميل ثابت وغيرهما من المرشحين الأغنياء تفتح فيها الصناديق وتجعل الناخبين المساكين والصحافيين المفلسين يستفيدون...»، وصحيح أنه تلاعب بانتخابات الرئاسة (1936)»، يوضح الحفيد، «لكنّه كان مغرماً، فقد كتب لصديقه «كت دوماً نقول إن صداقتي لك يجب أن تجعلك صاحبة ملايين... سأجعل المرشحين (إميل إده وبشارة الخوري) لا يصلان إلى يوم الانتخابات إلا وكل منهما قد فقد عقله أو فقد ماله أو فقد الاثنين معاً (...)». وينتهي رسالته «نعم» كانوا يقفون على باب، وعندما قرّرت الحكومة الفرنسية نقله، تركوه وحيداً، ولا أحد منهم «يصل إلى زناره (...)».⁽³⁾

حفيدة الجنرال إدوارد سبيرز (1886 – 1974)

أما حفيدة الجنرال سبيرز فاحبت أن تبدأ رسالتها بالقول إن لا علاقة لبريتي سبيرز بعائلتها وهي غاضبة لأن بريتي حازت من شباب لبنان على اهتمام أكبر مما حاز عليه جدها الذي «لولا لما نتم استقلالكم». فهو الذي هدّد السيد Jean Helleu المندوب السامي الفرنسي وتسبب في طرده من لبنان إثر احتجاجه «لأبطال استقلالكم». «لقد عمل جدي لحي أول رئيس لجمهوريةكم المستقلة»⁽⁴⁾، وكانوا يهللون لنا. وحين التقيت في أواسط الستينيات بأحدهم، قال لي إن جدي (رحمه الله) كان عظيماً فاجتبه بأنه قد يسره إن يعلم أن جدي لا يزال علي قيد الحياة وستقره زيارة أحد الزعماء اللبنانيين المعجبين به، فاعتذر بحجة السفر (...) تركتم جدي يموت وحيداً ولهذا إن أسألكم وهنيئاً لكم بزعماء لا يعرفون الوفاء...؟»

وكانت الرسائل والوثائق المتوافرة تظهر الكثير، إلى أن وصلت إلى بدايات الحرب الأهلية، وهنا قال لي زميلي «عد بنا رجاء إلى فخر الدين الأول، (سواء كان أسطورة أو حقيقة) فأنا لا أزال أعتقد بأن فخر الدين الثاني هو مؤسس دولة لبنان الحديث، فلا تهز إيماني.»

صفحة 3: المرثي والمسموع في لبنان

صفحة 13: دعاوى المطبوعات

صفحة 19: بعد الرئيس لحدود، هل يحصل الفراغ في سدة الرئاسة؟

صفحة 20: صورة عن الإدارة اللبنانية في تقارير أجهزة الرقابة

صفحة 22: جرائم المطبوعات

الصحافة في الميزان

صفحة 23: اعتصام امام L.B.C ام محاولة احتلالها؟

أقوالهم

صفحة 25: قالوا... يقولون في التقسيم

بيئة

صفحة 26: تلوث المياه في لبنان

وهم رقم 7

صفحة 27: الصوت الأرمني يقتر في بيروت

المؤشر العقاري في لبنان

صفحة 28: تشرين الأول 2007

مؤشر أسعار المنتجات الغذائية

صفحة 30: تشرين الثاني 2007

كتاب يقرأ

صفحة 31: تاريخ لبنان الحديث

كتاب يقرأ للأطفال

صفحة 32: اتساءل لماذا للأشجار أوراق؟

التقابات في لبنان

صفحة 33: نقابة الصحافة

الطوائف في لبنان

صفحة 36: الطائفة الإنجيلية

«ما أشبه اليوم بالأمس»

صفحة 38: أحداث 1860 التي مهدت لنظام المتصرفية

صفحة 40: جامعة بيروت العربية

صفحة 42: «الشهرية»، تحاور جاينثا دانا بال

صفحة 44: صناعة الصابون

اكتشف لبنان

صفحة 46: أبوقحمة - بلوزا

دول عربية

صفحة 48: وباء الإيدز في السعودية

صفحة 49: الانتخابات النيابية في الأردن

أرقام من العالم

صفحة 50: التذخين

(1) راجع العدد 50 من الشهرية، الصفحة 2

(2) مذكرات جمال باشا، ترجمة د. علي أحمد شكري

(3) قبل وبعد وروساء لبنان كما عرفتهم، إسكندر الرياشي

(4) مذكرات إدوارد سبيرز Fulfillment of a Mission (1941-1944)